النظام الإسلامي والتحدّيات الراهنة

المناسبة: زيارة إلى مدينة كاشان

الزمان والمكان: 25 شعبان 1422هـ ــ كاشان

الحضور: جموع غفيرة من أبناء مدن كاشان وآران وبَيْدَگل

أجواء الكلمة

لاشك أن التبليغ الأفضل لأية نظرية سياسية هو تطبيقها على أرض الواقع، ولهــذا أثبتت النظريات السياسية الغربية فشلها في التطبيق، لما أفرزت من حروب وحــوادث ومآسي شهدتها مختلف مناطق العالم من فلسطين وأفغانستان وأمريكا اللاتينية وغيرها، ولم تجد ما تردّ به هذه النظريات على هذه الحوادث.

وفي ظل هذه الظروف اتجهت الأنظار نحو الجمهورية الإسلامية والنظرية السياسية التي طرحتها في إدارة الحكم؛ أي حاكمية الشعب الدينية التي تتمثل في حقيقتها بتوجيه النظام وإدارته في ضوء الهداية الإلهية والإرادة الشعبية.

سماحة ولي أمر المسلمين وقائد الثورة الإسلامية آية الله العظمى السيد علي الخامنئي (دام ظله) أكد في زيارته إلى مدينة كاشان وخطابه أمام الجماهير الغفيرة من أبناء هذه المنطقة، أن هذه النظرية الإسلامية في إدارة الحكم لا يرد عليها أي إشكال في معاهــد الدراسات والمراكز البحوثية والتحقيقية، وما علينا إلاّ إثبات أحقية هذه النظرية عمليــاً وعلى أرض الواقع، وهذا هو التحدي الجوهري الذي يواجهه نظام الجمهورية الإسلامية في الظرف الراهن.

العناوين الرئيسية في خطاب سماحته:

ــ كاشان، تاريخ زاخر ومستقبل واعد

ــ دور المرحوم الكاشاني في تأميم النفط

ــ إدراك العدو لسر الانتصار

ــ فطنة الإمام ووعي الشعب حالا دون نجاح العدو

ــ التحدي الجوهري الذي يواجهه النظام الإسلامي

ــ المسؤوليات التي نتحملها

ــ الجمهورية الإسلامية والدعوة للعدالة والمعنويات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا وحبيب قلوبنا أبي القاسم محمد وعلى آله الأطيبين الأطهرين المنتجبين الهداة المهديين المعصومين لاسيّما بقية الله في الأرضين.

الحمد لله الذي وفّقني ــ أنا الخادم المتواضع ــ لأقف بين يدي هذا الحشد المهيب من أبناء مدن كاشان وآران وبَيْدَگل الأعزاء رجالاً ونساءً، شيباً وشباناً, وألتقيكم ولو بعد شيء من التأخير، أملاً في أن يكون ذلك موضع لطف وعناية وقبول من لدنّ الباري جلّت قدرته.

كان مقرراً أن ألتقيكم خلال زيارتي لأصفهان، لكن طول مدّة الزيارة, وكثافة البرامج التي تخللتها حالا دون ذلك، والحمد لله حيث جاءت زيارتي هذه في غضون الأيام الأخيرة من شهر شعبان المعظم.

كاشان، تاريخ زاخر ومستقبل واعد

ما أروم التحدّث عنه مغتنماً هذه الفرصة هو: التعبير عن الاعتزاز والمحبة لأبناء هذه المدينة, والتعرّف على ماضيها الزاخر بالمفاخر، فمدينة كاشان من بين القلائل من مدن بلادنا التي عُرفت بولائها لأهل البيت (ع) ومعرفتها للحقيقة منذ القرون الإسلامية الأولى, حيث استطاعت منذ البداية تشخيص الحقيقة وسط الأعاصير العاتية الهائلة لسياسات الأمويين والعباسيين، فقد اشتهر أنّ الإمام محمد الباقر (عليه الصلاة والسلام) قد أرسل ولده ــ علي بن محمد الباقر المدفون في مشهد أردهال ــ للعناية بأهلها, وتلبيةً لعواطفهم الملأى بالمحبة لأهل البيت (ع).

إنّ لكاشان اسماً لامعاً في إنجاب العلماء والمحدّثين وعلماء الرياضيات والفلاسفة والحكماء والمتكلمين، ونحن لا نستذكر الماضي لنتبجّح به ونغفل حاضرنا، كلا, فالتاريخ العلمي لأية مدينة ومفاخرها العلمية والثقافية والفنية وغيرها من المفاخر التاريخية إنما تمثّل دليلاً على أنها زاخرة بالمواهب, التي يتعيّن استثمارها في الوقت الحاضر على أتمّ وجه.

إنّ شعباً له مثل هذا العمق التاريخي حريّ بأن لا يوصم بالإفتقار للجذور التاريخية، وبلادنا بأسرها من قبيل ذلك.

وإنني ملتزم بأن أركّز في كل منطقة على عناوينها الزاخرة بالمفاخر وشخصياتها العلمية والثقافية؛ ففي قافلة الرواة منذ عهد الأئمة (عليهم السلام) تناقلت الكثير من

الروايات اسم علي بن محمد القاساني[1]؛ وخلال القرون التي راجت فيها المؤلفات الإسلامية برز أعلام ورجال العلم في الفقه والحديث من قبيل القطب الراوندي[2], ومن قبله السيد أبو الرضا فضل الله الراوندي[3]، أو غياث الدين جمشيد كاشاني[4] الرياضي المعروف في القرون الماضية المنحدر من هذه المنطقة.

---

[1] علي بن محمد بن شيرة (كان حياً قبل 254هـ) أبو الحسن القاشاني الأَصبهاني، وكان فقيهاً، مكثراً من الحديث، فاضلاً، لقيَ الإمام عليّ الهادي (عليه السلام) وروى عنه، ووقع في أسناد جملة من الروايات عن أئمّة العترة الطاهرة (عليهم السَّلام) تبلغ ثمانية وثمانين مورداً وصنّف كتب منها كتاب التأديب، وكتاب الجامع في الفقه وهو كتاب كبير.

موسوعة طبقات الفقهاء: ج3، ص 405.

[2] قطب الدين الراوندي (.. ــ 573 هـ) سعيد بن هبة اللّه بن الحسن، قطب الدين أبو الحسين الراوندي، أحد أعيان العلماء ومشاهيرهم. ومن أجلّة فقهاء الإمامية، محدّثاً، مفسّراً، متكلّماً، مشاركاً في فنون أُخرى من العلم، له مصنفات كثيرة تبلغ أكثر من خمسين كتاباً، وله أشعار فمن كتبه المطبوعة: فقه القرآن في جزءين، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، الخرائج والجرائح في ثلاثة أجزاء، سلوة الحزين المعروف بالدعوات، وقصص الأنبياء. توفى في- شوال سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة، وقبره في صحن السيدة فاطمة بنت الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) بمدينة قمّ.

موسوعة طبقات الفقهاء، ج6: 112.

[3] فضل اللّه الراوندي (.. ــ حدود 550 هـ) فضل اللّه بن علي بن عبيد اللّه بن محمد العلوي الحسني، السيد ضياء الدين أبو الرضا الراوندي القاشاني، أحد الأعلام. قال تلميذه منتجب الدين ابن بابويه: علامة زمانه، جمع مع علو النسب كمالَ الفضل والحسب، وكان أستاذ أئمّة عصره. أثنى عليه الكاتب العماد الأَصبهاني وكان يحضر مجلسه أثناء إقامته سنة (533 هـ) بقاشان وقال: العالم العامل الفاضل .. الرائق اللفظ، الرائع الوعظ .. له تصانيف كثيرة في الفنون والعيون. وللسيد أبي الرضا تصانيف، منها: ضوء الشهاب في شرح «الشهاب»، التفسير، الموجز الكافي في علم العروض والقوافي، ترجمة العلوي للطب الرضوي، نظم العروض للقلب المروض، الحماسة ذات الحواشي، وكتاب الأربعين في الأحاديث، وغيرها.

موسوعة طبقات الفقهاء، ج6: 227.

[4] جمشيد الكاشاني (.. ــ 832 أو 840 هـ) جمشيد بن مسعود بن محمود بن محمد، غياث الدين الكاشاني. كان عالماً رياضياً، فلكياً، حكيماً، من فقهاء الإمامية. صنّف مجموعة من الكتب، جلّها في الرياضيات و الفلك، منها: شرح «إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان» في الفقه للعلامة الحلّي (المتوفّى 726 هـ)، الأبعاد و الأَجرام (مطبوع)، سلّم السماء، مفتاح الحساب (مطبوع)، رسالة في نسبة القطر إلى المحيط، رسالة الوتر و الجيب، و اخترع لمعرفتهما آلة طبق المناطق، نزهة الحدائق (مطبوع) في كيفية صنع آلة طبق المناطق، و الألحاقات العشرة بذيل نزهة الحدائق (مطبوع مع النزهة). توفي المترجم في سنة اثنتين و ثلاثين و ثمانمائة، و قيل:- سنة أربعين و ثمانمائة.

موسوعة طبقات الفقهاء، ج9: 84.

وفي المراحل اللاحقة تواصلت قافلة الفقهاء والحكماء وكبار المتكلمين ومشاهير المفسرين ورجال السياسة والتصنيف في هذه المنطقة من أمثال الفيض الكاشاني[5], والملا مهدي النراقي[6] ونجله الملا أحمد النراقي[7]، ولا يرى المرء توقّفاً في هذا الركب

---

5 الفيض الكاشاني (1007ــ 1091هـ) محمد محسن بن المرتضى بن محمود بن علي، العلامة الإمامي، المتفنّن، ولد في كاشان، درس الفقه والحديث والتفسير والعربية وغيرها عند والده المرتضى، وخاله نور الدين الكاشاني وارتحل بعد أن بلغ العشرين من عمره إلى أصفهان ، فأخذ هناك عن جمع من العلماء، منهم؛ حسين الاردكاني اليزدي، وروى عن محمد صالح المازندراني الأصفهاني. وتوجه إلى شيراز، فتلمذ على السيد ماجد بن هاشم البحراني. ثم رجع إلى أصفهان، ولقي بها بهاء الدين محمد بن الحسين العاملي (المتوفّى 1030هـ) ونتفع به، وقصد الحجّ، واستفاد هناك من محمد بن الحسن بن الشهيد الثاني، وعاد إلى بلاده، ثم ألقى عصاه في قمّ ملازماً للفيلسوف الكبير صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي (المتوفّى 1050 ه)، فدرس عنده العلوم العقلية، وتزوّج ابنته، وتأثر بآرائه الفلسفية، وشُغف بعلم الأخلاق والعرفان والمعارف الإلهية ثم صحب أُستاذه المذكور إلى شيراز حينما استدعي إليها وانتفع به هناك نحواً من سنتين ورجع إلى مسقط رأسه كاشان بعلمٍ جمّ، فأكبّ على التدريس والتأليف في شتى العلوم، واشتهر، وصار من أعيان المحدثين والفقهاء، وأكابر الحكماء، ومن أهل النظر. وصنّف كتباً ورسائل كثيرة عدّ منها بعضهم (126) مؤلفاً.

موسوعة طبقات الفقهاء، ج11، ص: 339

6 محمد مهدي النّراقي (.. ــ 1209هـ) بن أبي ذر النّراقي الكاشاني، أحد أكابر الإمامية. كان عالماً بالفقه وأصوله والفلسفة، مشاركاً في العلوم الرياضية وغيرها، كثير التصانيف. ولد في نراق (من قرى كاشان) ونشأ وتعلّم بها. وارتحل إلى العراق، فأقام في كربلاء فحضر على فقيه عصره الشيخ الوحيد البهبهاني ، وتخرّج على يديه. وله مشايخ آخرون، منهم: الشيخ يوسف البحراني الحائري، ومحمد مهدي بن محمد صالح الفتوني النجفي. وعاد إلى بلاده، فاستقرّ بكاشان، وانتصب بها للتدريس والتأليف، وتوافد عليه طلاب العلم، حتّى انتعشت الحياة العلمية بالمدينة، وحفلت بالعلماء. تتلمذ عليه وانتفع به كثير من العلماء، وصنّف كتبا ورسائل في فنون شتى، توفّيّ بالنجف الأشرف– وكان قد قدمها في أواخر عمره– سنة تسع ومائتين وألف.

موسوعة طبقات الفقهاء، ج13: 626.

7 النّراقي (1185ــ 1245هـ) أحمد بن محمد مهدي بن أبي ذر النراقي الكاشاني، أحد أجلاء الإمامية. كان فقيهاً مجتهداً، أصولياً، شاعراً بليغاً بالفارسية، مصنّفاً، جامعاً لأكثر العلوم. ولد في نراق (من قرى كاشان) درس على والده (المتوفّى 1209هـ)، وانتفع به كثيرا. وارتحل إلى العراق سنة (1205 ه) لغرض زيارة العتبات المقدسة، ومواصلة الدراسة، فحضر في النجف على السيد محمد مهدي بحر العلوم الطباطبائي، وجعفر كاشف الغطاء، وفي كربلاء على السيد محمد مهدي الشهرستاني الحائري. وعاد إلى كاشان، وزاول وظائفه الدينية، ثمّ انتهت إليه الرئاسة بعد وفاة والده في سنة (1209 ه) وصار من أجلّة العلماء ومشاهير الفقهاء. وكان ذا همّة عالية، ينهض بأعباء الفقراء والضعفاء ويسدّ حاجاتهم. وصنّف كتباً ورسائل كثيرة، توفّي في كاشان، وحمل جثمانه إلى النجف الأشرف، فدفن مع والده إلى جانب الصحن المطهر لمرقد أمير المؤمنين (عليه السّلام).

موسوعة طبقات الفقهاء، ج13: 115.

في أي مقطع زماني أبداً؛ فما برح كبار العلماء والمفسرين والمصنفين والشخصيات البارزة يسجّلون حضورهم حتى على مقربة من زماننا، حيث برز المرحوم الملا حبيب الله كاشاني[8], والمرحوم آية الله الحاج السيد علي يثربي كاشاني[9] ــ وإنني آسف لأن رجال العلم والمعرفة هؤلاء مجهولون بقدر مواهبهم العلمية ــ وفي عالم السياسة برز المرحوم السيد أبو القاسم الكاشاني[10]، وكذا ثمة قائمة طويلة من الشعراء والعرفاء والمتضلّعين في شتّى العلوم؛ مما يعد فخراً لأية مدينة.

إنني لا أقول للشاب المعاصر: أن اجلس واكتف بالتفاخر بأسماء الماضين، بل أقول للشاب من أبناء كاشان: إنك خلف تلك السلسلة الحافلة بالمفاخر من العلم والمعرفة، ولقد نجح أُولئك في السمو بأنفسهم أو بمدينة كاشان, بل بالعلم إلى أسمى المراتب، وعلى الشاب والطالب الكاشاني وطالب العلوم الدينية والحرفي من أهل كاشان نساءً

---

[8] الملا حبيب الله الكاشاني: الفقيه الكبير حبيب الله بن علي مدد الشهير بالكاشاني المتوفى سنة 1340 هـ . دفن بكاشان وعمره 87 سنة . وترجم له البحاثة الطهراني في (نقباء البشر في القرن الرابع عشر) فقال: عالم فقيه ورئيس جليل ومؤلف مروج مكثر، اشتغل بالتصنيف والتأليف في أنواع العلوم وفنونها وكان مكثراً فقد بلغت عدة تصانيفه مائة وثلاثين كتاباً ورسالة وذلك إلى سنة 1319 هـ . وقد عاش بعد هذا التاريخ 21 سنة والله العالم بما ألّفه خلال تلك المدة فمن مؤلفاته؛ لباب الألقاب، رجوم الشياطين في ردّ البابية و(منتقد المنافع في شرح المختصر النافع اثنا عشر مجلداً فرغ منها في سنة 1294 هـ .) توضيح البيان في تسهيل الأوزان، رياض الحكايات في الأمثال والقصص، عقايد الإيمان في شرح العديلة.

أدب الطف، ج 9: 46.

[9] السيد علي اليثربي الكاشاني (1311 ــ 1379 هـ) ابن السيد محمد رضا بن إسماعيل بن عبدالرزاق اليثربي الكاشاني. ولد في سامرا وفي عام (1316 هـ) ورد مدينة كاشان مع والده، وأتم فيها درس السطوح، وفي عام (1321 هـ) قصد النجف، ثم رجع إلى كاشان عام (1331هـ) بطلب من عائلته، ونشغله بتدريس العلوم الحوزوية، وفي عام (1341 هـ) طلب منه الشيخ عبد الكريم الحائري المجيء إلى قم، فوردها واشتغل بعطاء البحوث في الفقه والأصول والأخلاق. من تلامذته المتميزين؛ الإمام الخميني، والمحقق الداماد، والسيد المرعشي النجفي، وكثير من تلامذته أصبحوا من الفقهاء العظام والمفكرين المتميزين. توفى في كاشان ودفن فيها.

[10] السيد أبو القاسم بن السيد مصطفى الحسيني الكاشاني: ولد سنة 1330هـ وتوفى سنة 1381هـ، نال مرتبة الاجتهاد في الخامسة والعشرين من عمره، شارك في ثورة العشرين وكان عضواً في المجلس العلمي الذي شكّله الإمام الشيرازي لقيادة الثورة، كما أهتم وبمساعدة العلماء الآخرين من تأسيس حزب سياسي منظَّم ليسهل من عملية التعبئة الجماهيرية، ضد الإنجليز، فله باع طويل في نصرة الثورة، وبعد انتكاسة الثورة طارده الإنجليز فهرب إلى إيران، كان أيضاً مشاوراً للآخوند الخراساني في نهضة المشروطة، وكانت له مواقف مشرفة في إيران من قضية تأميم النفط. يعدُ من تلاميذ الشيخ محمد تقي الشيرازي والشيخ محمد كاظم الخراساني والميرزا حسين الخليلي.

ورجالاً, وبما لديهم من قابليات مواصلة ذلك الخط والدرب, وتلك السلسلة التي لا تنضب من العلم والمعرفة والمواهب، وأعني بكاشان هذه المنطقة بأسرها؛ فكاشان اسم لمدينة تجاورها مدينة آران وبَيْدَگل، بَيْدَ أنّ اسم كاشان عبر التاريخ يشمل هذه المناطق كلها، وهذه المنطقة تطفح بالمواهب, بحيث إنها تحاذي الصحراء, وتعاني شحّة في المياه منذ القدم, لكنها اليوم تشهد توسّعاً في الصناعة وعدد السكان، والشحّة في الماء ليست إبنة يومها بالنسبة لكاشان، وبالرغم من شحّة المياه ومجاورتها للصحراء فقد شمخت هذه المدينة على مدى عدة آلاف في السنين؛ فالآثار الحضارية التي تعود إلى ما قبل الإسلام إلى جانب وجود مجتمع إنساني وحياة بشرية على هذه الأرض, وبلوغ ذروة النشاط الاقتصادي والسياسي والاجتماعي وما شابه ذلك دليل على هذه المواهب التاريخية التي لا تنفد، فبلادنا بأسرها طافحة بهذه الكنوز من القابليات.

و إنما يأتي تركيزي الدائم على المسؤولين وأبناء الشعب بأن واجبنا الآن هو العمل؛ ثم العمل ثم العمل لأن هذه الأرض وهذه البقعة الجغرافية ذات الحساسية التي تفوق التصوّر تختزن من القابليات, ما لو جرى العمل فيها سنوات متمادية لـيلاً ونهاراً, عملاً لا يعرف الكلل والملل, فإن أرضية العمل في هذا البلد ستبقى مشرعة.

لقد لحق الظلم بعض الشخصيات التاريخية في كاشان، أي أنّ حقّهم بقي دون أن يعرف كما ينبغي، ومنهم المرحوم الفيض الكاشاني، فهو من الشخصيات التي قلّ نظيرها؛ إذ كان متضلّعاً في علوم مختلفة، فهو حكيم وفيلسوف كبير، متكلم بارز، محدث شهير، رجالي ذو نظرية ومدرسة، فقيه له آراء لامعة، وهو شاعر وعارف، كل تلك المزايا اجتمعت في هذا الرجل، بَيْدَ أنه لم يبرز ضمن قائمة الشخصيات اللامعة في البلاد أمام أعين الخواص والعوام, وإن كان يتمتع بذلك التألّق أمام أنظار من يعرفونه، حتى إنني سمعت أنّ ضريح هذا العالم الجليل ذي الفنون المتعددة الواقع في كاشان لم ينل ما يستحقه من البناء والإعمار، ولعلّه هو الذي أوصى بأن لا يبنى سقف على ضريحه. على أية حال فإن تمجيد العظماء من أمثال الفيض تمجيد للعلم والمعرفة.

دور المرحوم الكاشاني في تأميم النفط

والنموذج الآخر الذي أرى الفرصة سانحة خلال زيارتي لكاشان للحديث عنه هو المرحوم آية الله الكاشاني الذي لولاه لَمْا حصلت حركة تأميم النفط البتة، وإنني أقول للشبيبة: أن تعرّفوا على الماضي القريب لبلادكم؛ لأن تحريف التاريخ يُعد واحداً من

سبل الإضلال والإغواء, وهو ما يجري الآن بكثرة، فالمرحوم الكاشاني هو الذي من خلاله استطاع الدكتور مُصَدّق[11] وسائر أقطاب حركة تأميم النفط استقطاب الدعم الشعبي لهذه الحركة، وإلاّ لَمْا حصل الدعم الشعبي لها؛ فلم يكن هنالك من يعرف مصدّق ولا من يعرف معنى تأميم النفط، ولم تكن جماهير الشعب العريضة ذات الدور والمبادرة المصيرية في التطورات الاجتماعية على علم بالقضية، ولم توضّح لها؛ إذ إنّ النظام الملكي العميل للإنجليز كان يحول دون معرفة الشعب لأي شيء، فيما لم يكن أمام المثقفين والسياسيين الذين تحرّكوا بهذا الاتجاه أي سبيل أو آلية, ولم يحظوا بثقة الشعب؛ فكان أن نزل المرحوم آية الله الكاشاني إلى الميدان، هذا الرجل الذي كان معروفاً لدى العلماء وله الحظوة كذلك عند الشعب الإيراني، وكان قد نُفي من قِبَل عساكر الإنجليز الدخيلة في إيران.

لاحظوا ما كان عليه الوضع في البلد؛ وانظروا الاستقلال السياسي الذي يتمتع به الشعب الإيراني الآن، فليس بمقدور أية قوة في العالم أن تفرض موقفاً ــ ولو كان لفظياً ــ على مسؤولينا؛ لكن الوضع كان يومذاك بحيث تتجاسر دولة أجنبية ــ حيث انثال الإنجليز والأمريكان والروس على بلادنا في عهد محمد رضا بهلوي من عدة مناطق ــ فتَقْدُم على نفي عالم دين إلى خارج البلاد؛ بسبب معارضته لسياسة الإنجليز! وكانوا قبل ذلك قد اعتقلوه في قلعة فلك الأفلاك بخرّم آباد، وقد شاهدت عن قرب تلك الزنزانة التي قيل: إنّ المرحوم الكاشاني كان نزيلها.

ولما عاد من منفاه إلى طهران أحدثت مشاعر الجماهير وعواطفها إزاء هذا العالم المجاهد الثوري عاصفة أذهلت الأعداء، فأخذ الإنجليز وغيرهم يحسبون حساباتهم؛ إذ أدركوا عدم جدوى المنازلة مع هذا العالم.

بعدها اختير المرحوم آية الله الكاشاني نائباً عن أهالي طهران ورئيساً للبرلمان آنذاك, فأعلن تأييده لمشروع تأميم النفط، وكان مندوبو المرحوم آية الله الكاشاني يجوبون كافة مناطق البلاد.

ولقد كنت فتىً يوم زار ممثله مشهد وارتقى المنبر فكان يستقطب الأفئدة كالمغناطيس, بحيث يعجز أي عامل آخر من أن يؤدّي هذا الدور.

---

11 محمد مصدق (1882–1967)، رئيس وزراء إيراني أسبق شغل المنصب بين عامي 1951 و1953. في زمان الشاه محمد رصا بهلوي. طرح شعار الاستقلال والحرية وأمم النفط أبان تسلمه الرئاسة، كما قام بخلع الشاه إلا أنه سرعان ما أعيد الشاه بعملية أمريكية بريطانية مشتركة سميت بعملية أجاكس، أعتقل محمد مصدق بعدها وسجن لمدة ثلاث سنوات وأطلق سراحه بعدها إلا أنه أستمر رهن الإقامة الجبرية حتى وفاته في العام 1967م.

وهكذا فقد انطلقت حركة تأميم النفط عام 1329هـ.ش1954م، أي ما قبل إحدى وخمسين سنة، حيث وقف الشعب إلى جانبها، وبالرغم من رفض محمد رضا لرئاسة مصدق للوزارة لكنه تقلّد هذا المنصب بدعم شعبي، ولولا توفير المرحوم آية الله الكاشاني هذا الدعم الجماهيري الضخم لمصدق لما أصبح رئيساً للوزراء؛ وفي عام 1331 هـ ش 1956م عندما شنّ البلاط هجمته ضد مصدق وخلعه عن رئاسة الوزراء لم يستطع إلاّ عامل واحد فقط إعادة مصدق للسلطة وهو المرحوم آية الله الكاشاني، وهذه من واضحات التاريخ ومن القضايا المعروفة لدى معاصريها وهم على علم بمجرياتها، بَيْدَ أنّ البعض يتكتّمون عليها عامدين ويحولون دون وصولها إلى أسماع الجيل المعاصر! وواضحة مآربهم بطبيعة الحال.

ولما عيّن الشاه قوام السلطنة[12] رئيساً للوزراء بدلاً عن مصدق أصدر المرحوم آية الله الكاشاني بياناً مناهضاً لقوام السلطنة, فارتَدَت الجماهير في طهران وغيرها من المدن الأكفان ونزلت إلى الشوارع، لذلك لم يستطع قوام السلطنة البقاء في مسند رئاسة الوزراء أكثر من ثلاثة أيام! أوَ كان مقدوراً المقاومة أمام التيار الشعبي الهادر الذي صنعه آية الله الكاشاني؟! لذا فقد استقال قوام السلطنة وعاد مصدق إلى السلطة ثانية.

لقد كان الإنجليز يعدّون النفط الإيراني ملكاً عضوضاً لهم، وكانوا يستغلّونه غصباً لعشرات السنين، وينهبون ثروة الشعب الإيراني مجاناً، فيما كان البلاط الملكي يتعاون معهم؛ بغية الاستمرار أياماً معدودات في حكمه البغيض، بَيْدَ أنّ حركة تأميم النفط هي التي سحبت هذا البساط، وفيها كان هذا الرجل العظيم المقدام المرحوم آية الله السيد أبو القاسم الكاشاني الملهم الحقيقي لهذه الحركة.

الإحاطة بمعرفة دسائس ومؤامرات الأعداء

إنّ جانباً مهماً من القضية يتلخّص فيما أتطرّق إليه الآن، وهو ما أريد أن يوضع في الاعتبار لاسيّما من قِبَل شبابنا؛ لقد أدرك العدو ما السر الذي يكمن وراء الانتصار الذي حققه الشعب الإيراني، لذلك فقد انبرى لفصل السياسيين ومسؤولي الحكومة عن العلماء والدين، فأفلحوا ــ وللأسف ــ في فصلهم عن آية الله الكاشاني وأحدثوا شرخاً

---

[12] قوام السلطنة «أحمد قوام» ابن ميرزا إبراهيم معتمد السلطنة، أخوه الأصغر وثوق الدولة. الكاتب الخاص في بلاط مظفر الدين شاه القاجاري. والي خراسان على عهد أحمد شاه. رئيس الوزراء على عهد محمد رضا بهلوي مرات عدة. رئيس الوزراء لمدة أربعة أيام بعد استقالة محمد مصدق في سنة 1331هـ.ش = 1952م أدت الى واقعة «ثلاثين تير». توفي سنة 1334هـ.ش = 1955 بمرض قلبي.

بينهم، فمنذ أن استطاع المرحوم آية الله الكاشاني النزول بالجماهير إلى الساحة في الثلاثين من تير عام 1331 هـ.ش 1956م وحتى يوم 28 مرداد عام 1332هـ.ش 1957م استطاع عملاء أمريكا في طهران الإطاحة بمصدّق وإنهاء حكمه ولم يبدِ الشعب أي تحرك، ولم يدم المقام أكثر من سنة وشهر واحد عمد خلالها الدكتور مصدق إلى زيادة الفاصلة بينه وبين السيد الكاشاني, بفعل تحرّك العناصر المناهضة لاستقلال البلاد, وبفعل المؤامرات التي كان يحيكها أعداء الشعب؛ إلى أن كتب المرحوم آية الله الكاشاني رسالة له قبل وقوع حادثة 28 مرداد[13] بعدة أيام، قال فيها: إنني أخشى الانقلاب عليك؛ بسبب الوضع الذي تعيشه, ويفتعلون بوجهك المشاكل.

فردّ الدكتور مصدق: إنني أعتمد على دعم الشعب الإيراني! وهنا كان مكمن خطئه، فأنامل العلماء من أمثال آية الله الكاشاني هي التي كانت تدفع بالشعب للنزول إلى الساحة والمخاطرة بأرواحهم؛ وفي 28 مرداد حيث أقصي الكاشاني وكان جليس الدار ــ وفي الحقيقة فإن حكومة مصدق هي التي أقصته وأبعدته عنها ــ فإن عدم تواجده في الميدان كان هو السبب في عدم نزول الجماهير إلى الساحة مجدداً؛ لذلك فقد تمكن الانقلابيون ممن جنّدتهم أمريكا من المبادرة والسيطرة على قطاع من الجيش والقيام بالانقلاب، فأرسلوا حفنة من أوباش طهران وشذاذها فأطاحوا بمصدق، أعقبت ذلك دكتاتورية محمد رضا التي استمرت خمسة وعشرين عاماً سحق خلالها هذا الشعب تحت أقدام الدكتاتورية, وأفرغ التأميم من محتواه؛ لأنهم أخذوا بتقديم النفط لاتحاد مالي وفقاً لما رسمه الأمريكان، وحصل ما كان يصبو له العدو، وما ذلك إلاّ بسبب الابتعاد عن الدين وعن العلماء، وإن في ذلك لعبرة.

وحصل نظير هذه القضية في مستهل الحركة الدستورية[14], إذ كان الفعل للجماهير التي فرضت الحركة الدستورية على حكام القاجار المستبدين بتواجدها، وإلا فلم يكن

---

[13] انقلاب الثامن والعشرين من مرداد (19 اغسطس آب 1953) الذي دبرته المخابرات الأمريكية (CIA) بالتعاون مع البريطانيين وأتباع الملكية ضد حكومة الدكتور مصدق الوطنية وإرجاع الشاه إلى السلطة.

[14] الحركة المشروطة في إيران التي تزعّمها اثنان من كبار علماء الدين في إيران هما السيّد محمّد الطباطبائي، والسيد عبد الله البهبهاني. عملت الحركة على إقامة حكم ملكي دستوري مشروط ببرلمان، ونجحت في (5/8/ 1906م)، في إجبار مظفَّر الدين شاه على إعلان الدستور، والاحتفاظ بمكانة عليا تضمن للفقهاء الإشراف على قوانين المجلس. ولكن انقسام الحركة الدستورية إلى فريقين، يطالب أحدهما بحكم ديموقراطي مطلق، وآخر يطالب بحكم يلتزم بالشريعة الإسلامية، أدى إلى إعدام الشيخ فضل الله النوري أكبر دعاة «المشروطة المشروعة» في طهران على يد فريق «المشروطة المطلقة»، ما جعل حالة من التشكيك في الحركة الدستورية تسود في أوساط العلماء، فاتهموها بالعمالة لبريطانيا. وقد حاولت الحركة الاعتماد على المرجعية الدينية في النجف

مظفر الدين شاه[15] ذلك الشخص الذي يذعن لها، بل التواجد الشعبي وضغوطه هو الذي أرغمه على القبول بها، فلقد نزل العلماء الأعلام بالجماهير إلى الساحة حتى وقعت الحركة الدستورية، فبادرت حفنة من المثقفين الأذلاّء حيال الإنجليز, ومن خلال دعاياتهم وصحفهم وأساليبهم إلى زرع اليأس والتشاؤم في نفوس العلماء والمتدينين من أبناء الشعب إزاء الحركة الدستورية، فكانت النتيجة أن حلّت في بادئ الأمر دكتاتورية تزامنت معها الفوضى والاضطرابات، أعقبتها بعد عدة سنوات دكتاتورية رضا خان السوداء, الذي تسلّط على رقاب الشعب؛ إن كلاً من هاتين الحادثتين تمثل تجربة، ولكل منهما تحليلها وقصّتها.

إنني أتألّم حينما أرى عدم إطلاع شبابنا على هذه القضايا، فمعرفة المرء ما سلف من ممارسات العدو على الدوام تؤدّي إلى معرفته لمكره في زمانه, وإن تغيّرت الأساليب؛ فإنكم تشاهدون المباريات الرياضية حيث يجتمع المدرّبون لمراقبة الفريق الخصم بدقّة لمعرفة خططه؛ وفي غضون المئة عام الأخيرة وإلى ما قبل إنتصار الثورة الإسلامية خاض الشعب الإيراني مواجهتين على أقل تقدير مع أمريكا وبريطانيا، إحداهما هي قضية الحركة الدستورية، والأخرى تأميم النفط، وفي كلتاهما تآمر أولئك فحرموا الشعب الإيراني التنعّم بلذّة انتصاره، وفي كلتا الحقبتين جاؤوا بدكتاتورية قاسية وسوداء لتحكم البلاد.

فطنة الإمام ووعي الشعب حالا دون نجاح مخططات العدو

الحدث الثالث كان الثورة الإسلامية وفيه أبدى الإمام فطنةً سدّ بها الأبواب، فعقب انتصار الثورة كان البعض يروّج ــ وبإيحاء من الأعداء أنفسهم ــ لفكرة مفادها: ها

الأشرف لتتخذ موقفاً حاسماً ضد السلطة القاجارية التي كانت تعارض أهداف الحركة في إنشاء مجلس شورى، والحركة الدستورية، فكان على رأس أنصار المشروطة الشيخ كاظم الخراساني والشيخ حسن الخليلي والشيخ عبد الله المازندراني والشيخ محمّد حسين النائيني وغيرهم. وفي 24جمادى الثانية 1327 هـ /13حزيران 1909م. حققت المشروطة انتصاراً ساحقاً بسقوط الشاه على أيدي أنصار المشروطة وخروج الروس من إيران.

[15] مظفر الدين شاه قاجار (1853 ــ 1907م) ابن الرابع لـ« ناصر الدين شاه» نصب ولياً للعهد وله خمس سنين، حكم آذربايجان 40 سنة. تبوأ العرش اثر مقتل والده «ناصر الدين شاه» عام 1896 ولما تولى العرش أنهك ميزانية الدولة بسبب سفره المستمر إلى أوروبا بحجة العلاج حتى أفلست إيران واستدانت الأموال طائلة من بريطانيا وروسيا، مما جعل تلك الدولتين يتدخلان بالشأن الإيراني بكثرة. وقد شهد عهده أبرز الأحداث في تاريخ إيران وهو الثورة الدستورية، التي أجبرته على الموافقة على إقامة حكم دستوري عام 1906م.

هو الإمام قد عاد وبلغ بالثورة مرحلة الظفر ونزل بالجماهير إلى الساحة فأقيمت الجمهورية الإسلامية؛ وهنا انتهى دور الإمام، فليذهب إلى قم وينهمك بدرسه وبحوثه وشؤونه الخاصة! وهذا ما كان يعني أن يقع في الثورة الإسلامية ما كان وقع خلال الحركة الدستورية، فأدرك إمامنا العظيم وشعبنا المؤمن ومجاهدوه الذين خبّروا التجارب التاريخية, والسياسيون من الثوار الذين أدركوا ماذا يصنعون, ومن أي الثغور ربما يشنّ العدو هجومه ثانية على البلاد، أدركوا مؤامرة العدو هذه، فجرى تدوين الدستور، فيما كان الإمام يشرف ويراقب مجريات الأمور ويسددها، والشعب بدوره بقي ملتفّاً حول المبادئ الدينية وحَمَلة لواء المعرفة الدينية طوال هذه الفترة، وشبابنا بدلاً من أن يستجيبوا لمطامع العدو في الإعراض عن حقائق المعرفة الدينية وروائعها والمارد الإسلامي الذي رفع راية العدالة في عالمنا المعاصر، فقد فاقوا سائر الطبقات وعياً وإصراراً رافعين راية الإسلام ودعوته على ربوع وطننا.

لم يسمح شعبنا بشبيبته لمعادلة العدو المتهالكة بأن تتكرر بحق الثورة الإسلامية، وأي معادلة هذه؟! الخطوة الأولى فيها فصل الجهاز السياسي للنهضة عن الدين والعلماء، والخطوة الثانية بث اليأس في نفوس الجماهير إزاء ما طرأ من تغيير كما هو الحال مع الحركة الدستورية وتأميم النفط؛ فالإحباط الحاصل لدى الجماهير من شأنه الحيلولة دون تواجدها في الساحة.

أما الخطوة الثالثة فتتمثل في بروز دكتاتور ظالم قاسٍ مكبّل بقبضة العدو المستكبر المستعمر وذلك في ظل غياب الجماهير، ولقد استطاعوا تمرير هذه المعادلة بيسر على صعيد التغييرات التي لم يكن للدين دور فيها؛ فَهُم يزرعون الإحباط في نفوس الجماهير ويقصونها عن الساحة, وبالتالي يفعلون ما بدا لهم في ظل غياب الجماهير ويأتون بعملائهم إلى سدّة الحكم، لكنهم عجزوا عن القيام بمثل ذلك بعد إنتصار الثورة الإسلامية في إيران؛ فلم يتمكّنوا من فصل الدين عن أصول حكومة الجمهورية الإسلامية وثورتها، ولم يستطيعوا بثّ اليأس في نفوس الجماهير التي أصرّت على التواجد في الساحة، ومادامت الجماهير متواجدة في الساحة فلن يبقى أي مجال أمام العدو للقيام بأي تحرّك حقيقي وفعّال في بلادنا.

النظام الإسلامي ومواجهة التحدّيات

ما هو التحدّي الجوهري الذي يواجهه بلدنا في الوقت الراهن؟ على أبناء شعبنا جميعاً من شباب وعمال وفلاحين وصناعيين وحوزويين وجامعيين أن يضعوا في الحسبان أنّ أهم قضية بالنسبة لنا اليوم هي: أننا وفي ظل الإسلام والحكومة الإسلامية

المستندة إلى آراء الجماهير وعواطفها نستطيع بناء وطننا إقتصادياً وسياسياً وثقافياً وأخلاقياً, ما يخرس ألسنة المبغضين, ذوي النوايا السيئة والأبواق الدعائية الواسعة للأعداء.

إنّ أفضل تبليغ لأية نظرية سياسية هو تطبيقها على أرض الواقع، ولقد خاطبت أبناء أصفهان وشبيبتها وكررت أمامهم: اليوم تحيق أقوى ضربة بشأن الليبرالية الديمقراطية في العالم الغربي، هذا العالم المليء بممارسات القتل والدماء والجور والظلم التي تبلورت على أساس الليبرالية الديمقراطية، فكانت أوربا وأطرافها محوراً لحربين عالميتين، فأوربا تمثل منطلق الليبرالية الديمقراطية؛ فالاستعمار والتدخّل في الشؤون الداخلية للدول، والحوادث التي شهدتها دول أمريكا اللاتينية، والأهم من ذلك حوادث فلسطين، والحدث الأفغاني هذه الأيام؛ ما هي إلاّ إفرازات هذا الواقع، فيما تفتقر الليبرالية الديمقراطية لِمْا ترد به على هذه الحوادث، ولا حاجة ــ في هذا المضمار ــ للجدل النظري والفلسفي والجلوس حول طاولة الحوار؛ إذ عندما تسلّط الشعوب أنظارها تجد هذه النتيجة التي أفرزتها هذه النظرية السياسية التي أثبت عقمها.

في ظل هذه الظروف تتطلّعون ــ أنتم ــ لأن تطرحوا أمام العالم النظرية السياسية للإسلام ونظام الجمهورية الإسلامية، أي حاكمية الشعب الدينية؛ فالجمهورية تعني حاكمية الشعب، والإسلامية تعني الدينية، وهنالك من يتصوّر أننا إذ أطلقنا شعار حاكمية الشعب الدينية فقد جئنا بشيء جديد.

كلا، فالجمهورية الإسلامية تعني حاكمية الشعب الدينية, التي تتمثّل في حقيقتها بتوجيه النظام وإدارته في ضوء الهداية الإلهية والإرادة الشعبية.

والمؤاخذة التي تطال الأنظمة في العالم هي إما أنها تفتقر للهداية الإلهية كما هو حال الديمقراطيات الغربية التي تحكمها الإرادة الشعبية ظاهرياً, لكنها تخلو من الهداية الإلهية، أو أنها تخضع أو تزعم أنها تخضع للهداية الإلهية, لكنها تفتقر للإرادة الشعبية، أو تفتقدهما معاً؛ وهذا ما عليه الكثير من البلدان, أي لا يدخل رأي وإرادة الجماهير في شؤون البلاد ولا وجود للهداية الإلهية فيها.

أما الجمهورية الإسلامية ــ حيث تتظافر الهداية الإلهية إلى جانب الإرادة الجماهيرية في التأثير ببنية النظام ــ فلا ترد أية مؤاخذة أو إشكال حول هذه النظرية في المحافل الجامعية أو التحقيقية؛ لكنكم إن أردتم إثبات أحقّية هذه النظرية أمام شعوب العالم فعليكم إثباتها عملياً، وهذا هو التحدّي الأهم الذي يواجهه نظام الجمهورية الإسلامية.

اعلموا يا أعزائي أنّ جهود أعداء الجمهورية الإسلامية انصبّت على أن لا يحصل هذا الأمر، أي البناء في ظل نظام الجمهورية الإسلامية، ولأجل ذلك يأتي هذا الحصار الاقتصادي الذي تسمعون به، وتأتي العراقيل بشتّى ضروبها التي يضعها الأعداء بوجه بلادنا في مجال النفط وغيره من المجالات. إنهم يحاولون الحيلولة دون بلوغ الجمهورية الإسلامية والشعب الإيراني المستوى الذي يطمحان إليه من الإعمار والبناء والتقدم والرقي والتنمية في ظل هذا النظام؛ كي لا يغدو مثلاً يحتذى به من قِبَل سائر البلدان، ولئلاّ تلقى النظرية السياسية للإسلام رواجاً في العالم.

المسؤوليات التي نتحملها

ولكن ما هي مسؤوليتنا يا ترى؟ إنها العمل بما يعاكس مآربهم تماماً؛ فعلى مسؤولي الحكومة عدم الغفلة ولو لحظة واحدة عن العمل؛ من أجل الشعب, والجهد الدؤوب؛ من أجل بناء البلاد وتحقيق التنمية الشاملة في البلاد.

ولطالما حذرت وقلت: إنّ المشاحنات السياسية هي التي تحول بين المسؤولين وبين العمل، فذلك المسؤول المنهمك بالخصومات الحزبية والتنظيمية والفئوية والسياسية لا فرصة أمامه لكي يكرّس وقته لشؤون الشعب.

ونحن بطبيعة الحال قد حققنا إنجازات جمّة، وإنني أرفض لأي أحد التغاضي والاستهانة بالإنجازات التي حققتها الوزارات المتعاقبة في الجمهورية الإسلامية, منذ انتصار الثورة وحتى يومنا هذا؛ كلا، فالاستهانة هي كالتعظيم تماماً تمثّل آفة وطنية.

ولقد سعى الأعداء على الدوام لأن نحتقر أنفسنا ونتغاضى عن إنجازاتنا, ونستهين بما تحقق من أعمال أو نفيها من الحسبان من الأساس.

لقد تقدّم بلدنا بعد انتصار الثورة في شتى شؤون الإعمار والبناء والثقافة, ما لو ألقيتم نظرة على السنوات المتمادية من عمر ما سبق من أنظمة جائرة متغطرسة لن تجدوا فيها ولو جانباً يسيراً مما تحقق خلال هذه السنوات العشرين، وتأسيساً على هذا ينبغي عدم الاستهانة بهذه الإنجازات.

لقد كانت نظرة المسؤولين الحكوميين في النظام البهلوي[16] وقبله النظام القاجاري[17] للبلاد نظرة المالك لملكه؛ أي أنه يسعى وراءه بالقدر الذي يجني منه الفائدة، فالإقطاعي

---

[16] البَهلوية، آل بهلوي: أسرة حكمت إيران بين السنوات 1925 ــ 1979 م. أسسها رضا خان (1878–1941 م) وكان قائداً على فرقة القوات الكازاخية في عهد دولة القاجاريين. قام سنة 1921 م وهو على رأس وزارة الحربية (الدفاع) بحل الحكومة، بعد أن قام بخلع آخر الشاهات القاجريين سنة 1925م، أجبر البرلمان (المجلس الوطني) على أن ينتخبه شاهاً على البلاد. تميز حكمه

ــ على سبيل المثال ــ الذي يمتلك آلاف الهكتارات من الأراضي الزراعية إنما يركّز ميزانيته أكثر فأكثر وينفق رأسماله على البقعة التي تدر منتوجاً أوفر دون أن تحتاج لمزيد من الجهد، في حين لا يسخّر رأسماله للبقعة التي لا تدرّ حاصلاً ولا هي في مرأىً من الأنظار؛ وهكذا كان الحال بالنسبة لبلدنا؛ فكل ما كان أمام أعين الأعداء وما كان مرتبطاً بأزلامهم وبمصالح البلاط وذويه, وما كان عائداً للشركات والمراكز الاقتصادية في العالم وبالصهاينة، كان مزدهراً وزاخراً بالإمكانيات التي توفّرها الحكومة, وتبذل من أجله الجهود, وترصد له الأموال في ميزانية البلاد، وما لم يكن كذلك فهو مهمل، سواء كان طريقاً أو سدّاً أو من أعمال البنية التحتية الأخرى، جامعةً كانت أو طالباً أو علماً أو ثقافة أو صناعة أو فنّاً أو أي شيء آخر.

واليوم وبعد مضي عقدين من الزمان على انتصار الثورة الإسلامية فقد أنجزت أعمال استثنائية في ربوع البلاد, وفي البنية التحتية والعمرانية, والاهتمام بأبعد مناطق البلاد وأقصاها، على صعيد الثقافة والجامعة وكافة الجوانب التي هي موضع اهتمام؛ من أجل مستقبل أي بلد، فلا ينبغي التغاضي عنها.

قلت ذات مرة لرئيس دولة أجنبية قَدِم لزيارتي في طهران: هنالك سبعون سدّاً طي الإنجاز في آن واحد، وهل تتصوّر أنّ أموالاً فاضت عن الحاجة لبناء السدود في عهد الوزارة السابقة تركتها للوزارة الحالية، وهذه الوزارة أكملت إنجاز عدد منها فيما جردت عدداً آخر في برنامجها الحالي وهو ما يناهز السبعين سدّاً في آن واحد؟ فدهش وقال: وهل تلك حقيقة؟! أجبته: نعم!

إنها حقائق لا يمكن التغاضي عنها؛ فالاستهانة بالإنجازات التي حققتها الثورة ليست مما يصبّ في مصلحة الشعب، بل هي مدعاة لإثارة اليأس والإحباط في نفوس

بالدكتاتورية. تم عزله سنة 1941م ثم نفي إلى جنوب إفريقيا من قبل الحلفاء. حكم ابنه محمد رضا بهلوي، الشاه المخلوع (1919ــ1980م) تحت الوصاية البريطانية والروسية حتى سنة 1946 م. غادر طهران عشية انتصار الثورة الإسلامية في 1979/1/16م. توفى بعد 18شهراً من مغادرته طهران، في مصر ودفن في القاهر.

[17] القاجار: سلالة تركمانية من الشاهات حكمت في بلاد فارس (إيران) سنوات 1779ــ1925م. استولوا على منطقة أستر آباد (شمال شرق إيران) سنة 1750 م استطاع قائد القبيلة آغا محمد خان (1779ــ1797م) أن يستولي على الحكم في بلاد فارس بعد قيامه سنة 1794م بتصفية الخانات الزند في كرمان بطريقة دموية، ثم قضى وبنفس الطريقة على الأفشريين في مشهد سنة 1796 م. وحد البلاد واتخذ لقب الشاه سنة 1796 م. انقرضت القاجارية على عهد احمد شاه بعد أن خلع ونقل التاج إلى رضا بهوي سنة 1925م، وقيام الحكم البهلوي.

الجماهير، وذاك ما يصبو إليه الأعداء، حيث يهولون نقاط الضعف ويبرزون النواقص، لكنهم يتعامون عن الإنجازات.

وفي نفس الوقت الذي أنهى عن الاستهانة بالإنجازات والنجاحات التي تحققت، أرى وجوب أن يولي المسؤولون اهتماماً مضاعفاً بالأعمال التي لم تنجز بعد, والبطيئة منها والمتأخرة عن موعدها, وتلك التي طواها النسيان؛ وهذا ما لا يتحقق إلاّ من خلال شحذ المسؤولين لهممهم من أجل هذه المهمة، فالصعاب تحفّ بمياه الشرب ومياه الري وصناعات النسيج والغزل والحياكة التي تعد من مفاخر كاشان منذ القدم, ولطالما اقترن اسمها بإسم هذه المدينة، وهذه المشكلات جميعها يسير علاجها, والمسؤولون بمقدورهم حلحلة هذه المعضلات، ولا أقول: بأنها ستحلّ خلال فترة وجيزة، فربما يمتد بها الوقت، غاية الأمر أن ينفد هذا الوقت وتجد المشاكل طريقها إلى الحل واحدة تلو الأخرى، وهذا ما يحتاج إلى جهد من قِبَل المسؤولين.

أما ما يتعلق بالشعب، فعليهم أن لا يسمحوا لليأس أن يدبّ في نفوسهم حين مشاهدتهم للنواقص ونقاط الضعف، فالتشاؤم إزاء الأمور جميعاً والتغاضي عن الأعمال الإيجابية هو ما يطمح إليه العدو بالضبط، وهذا هو التحدّي الرئيس الذي يواجهه بلدنا الذي يزخر بقدرات جمّة؛ فإننا الآن نتمتع والحمد لله بقدرات إنسانية مدهشة من شبيبة وطاقات فتية وسواعد ومواهب وعقول من الممكن استثمارها لتطوير الوطن وحل المعضلات، ولدينا هذا العدد من الجامعيين، فليس هناك من يتصوّر أنّ مثل كاشان تضمّ أربعة عشر ألف جامعي، غير أنّ هذه حقيقة قد تبلورت في بلادنا، وهكذا هو حال سائر مناطقه؛ فمراكز التعليم العالي تنتشر الآن حتى في أقصى مناطق البلاد إما على شكل جامعات أو معاهد دراسية عليا، وفي ذلك ثروة للوطن.

وبناءً على هذا فإن واجب المسؤولين العمل المتواصل، وواجب الجماهير عدم الاستسلام لليأس, والسعي وراء العمل وبذل الجهود ومطالبة المسؤولين بشكل منطقي، فعلى كل شخص العمل والسعي بما في وسعه، وإذا عملنا جميعاً ــ شعباً ومسؤولين ــ بواجباتنا فسيرقى هذا البلد وترفرف راية الجمهورية الإسلامية في ربوع المعمورة على رغم القوى التوسّعية والسلطوية.

الجمهورية الإسلامية والدعوة للعدالة والمعنويات

إنّ العالم المعاصر في ذروة الحاجة إلى العدالة والمعنويات التي ترفع لواءها إيران الإسلام؛ وأهم فراغ تعاني منه الدنيا اليوم هو المعنويات والعدالة.

وإنّ شعوب العالم تعشق السلام، أما أرباب السياسة في الغرب ومن لفّ لفّهم فهم يراؤون بحديثهم عن السلام، إذ إنهم هم الذين يؤجّجون نيران الحروب، فما الذي يحصل الآن في فلسطين وأفغانستان؟! وماذا في القضية الفلسطينية؟! ليس سوى أنّ شعباً يطمح بالحياة في دياره ووطنه، لكنهم [الصهاينة] لا يدعونه, بل إنهم يدمّرون دياره، ودويلة إسرائيل الغاصبة قد استلمت شيكاً مفتوحاً من أمريكا، وقد جرى تأييد جرائمها سلفاً، وهي تعلم بأن أمريكا لا تبدي أية معارضة إزاءها، والكثيرون أيضاً لا يعترضون عليها محاباة لأمريكا، لذلك فإن أخبار الجرائم التي ترتكب في فلسطين تطرق مسامع الدنيا كل يوم، ولكنها لا تقدم على شيء!

وأفغانستان نموذج آخر؛ فما الذي ارتكبه الشعب الأفغاني؟! فأي دولة أو شعب اعتدى عليه الشعب الأفغاني, كي يتعرّض لمثل هذا العدوان؟!

إنّ العالم يشاهد هذه الأحداث ويعترض عليها لفظياً، لكنه لا ينبري لمواجهتها، والشعوب عندما تشاهد هذه القضايا فإنها تشعر بافتقار هذه الدنيا لشيء ما، وذاك هو العدالة؛ فعلى الجمهورية الإسلامية أن لا تتخلّى عن مناداتها بالدعوة للعدالة والمعنويات.

اعلموا أيها الشباب الأعزاء ــ حيث يشكّل جيلكم اليوم قطاعاً واسعاً من الشعب الإيراني ــ أن هذا الدرب الذي تشقّونه الآن درب حافل بالمفاخر، وإذا ما واصلتموه بعزيمة راسخة ملؤها الأمل وإرادة حازمة وتصميم لا يلين متزوّدين بالعلم وتجاربكم وتجارب السلف الماضي فإن الدنيا بأسرها ستقتفي أثركم.

أعزائي! إنّ شهر رمضان على الأبواب، وبعد أيام قلائل سيجلس المؤمنون ــ من لهم الجدارة لذلك ــ على مائدة الضيافة الإلهية؛ والصيام بحد ذاته, والتوجّه إلى الله تعالى والأذكار والأدعية التي غالباً ما تستهوي الأفئدة وتجتذبها في هذا الشهر جزء من الضيافة الإلهية، فاغتنموا هذه المائدة بأقصى مداها وأعدّوا أنفسكم؛ فشهرا رجب وشعبان شهرا تأهّب قلب الإنسان لدخول شهر رمضان؛ ولم يبق من شهر شعبان إلاّ أيام معدودات، فيا أعزائي! ويا أبنائي! أيها الشباب الأعزاء! اغتنموا هذه الأيام القلائل؛ سلوا الله تعالى، ويمّموا قلوبكم النقية نحوه وكلّموه؛ وليس من لغة خاصة للحديث مع الله جل وعلا، غير أنّ أئمتنا المعصومين ــ الذين ارتقوا مراتب القرب إلى الله واحدة تلو الأخرى ــ قد كلّموا الله بألسنة متميّزة وعلّمونا سبيل التكلّم مع الله سبحانه؛ فهذه المناجاة الشعبانية والأدعية الواردة في شهري رجب وشعبان بمضامينها الراقية؛ وهذه المعارف الرقيقة والنورانية والتعابير الرائعة الإعجازية، هذه كلها وسيلة لنا لغرض الدعاء.

وإنني أدعوكم جميعاً أيها الأعزاء إلى التوجّه خلال هذه الأيام نحو الدعاء والصلاة والإقبال على الصيام واغتنام أيام شهر رمضان ولياليه.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يسبغ عليكم فضله ورعايته، وأشكركم من الأعماق، يـــا أبناء كاشان وآران وبَيْدَگل الأعزاء، لتجمّعكم المهيب هذا وعواطفكم الصادقة الجيّاشة، وأستودعكم الله جميعاً.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته